The International Journal of Islamic Studies and Culture (IJISC)
Volume 2, Issue 1, May 2023
ISSN (PRINT): 2948-3778 E-ISSN (ONLINE): 2948-3913

الأثر الفلسفي اليوناني في الشيعة الإسماعيلية

كمال الدين نور الدين مرجوني
Kamaluddin Nurdin Marjuni
Universiti Islam Sultan Sharif Ali (UNISSA), Brunei Darussalam

ملخص

إذا كانت الفلسفة الإسلامية تعدّ من أكثر المذاهب الإسلامية تأثرا بالفلسفة اليونانية. فإن الشيعة الإسماعيلية لم تكن أقل تأثرا بها، حيث لجأوا كثيرا مثل فلاسفة الإسلام إلى الفكر اليوناني، وخاصة الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، وعلى هذا يحاول هذا البحث إبراز تأثير الفلسفة اليونانية على الشيعة الإسماعيلية، وسلك البحث المنهج الاستقرائي الوصفي والتحليلي، وذلك من خلال رصد نصوص كتب الشيعة الإسماعيلية، وأكَّد هذا البحث على تأثر الشيعة الإسماعيلية بالفلاسفة اليونانية وبخاصة في قولهم بالطبائع الأربعة، وتأثير الكواكب في المخلوقات لزعمهم أن الأفلاك والكواكب كائنات حية ناطقة. ومن ثم فالحقيقة يجب أن تقال بأن عقائد الشيعة الإسماعيلية هي مجموعة أفكار ملفقة من مذاهب الفلسفية، وكلها خبط واضطراب، فمذهبهم كان دخيلا ليس له صلة بالإسلام.

الكلمات المفتاحية: الأثر الفلسفي، الشيعة الإسماعيلية، الفلسفة الإسلامية.

تمهيد:

اطلع المسلمون ومفكروهم على فلسفة اليونان أو جزء منها على الأقل منذ العصر الأموي . فتأثروا بها لأخذهم معظم آراء أرسطو ، وأعجبوا بأفلوطين كثيرا وتابعوه في نواح عدة. وكانت الأفلاطونية المحدثة أكبر المذاهب أثرا في العالم الإسلامي[1]. وقد بلغ تأثر جمهور فلاسفة الإسلام بمذاهب فلاسفة اليونان حدا جعلهم متابعين لهم في كثير مما انتهوا إليه في مباحثهم المنطقية والطبيعية والإلهية، وكانت مسألة وجود العالم من بين المسائل التي انتظمتها اليونان، وانتهوا فيها إلى القول بقدم العالم، وأن وجوده محايث لوجود الله تعالى، غير متأخر عنه بزمان أو مدة ، وممن تأثروا بهذا القول من فلاسفة الإسلام : الفارابي وابن سينا وابن طفيل وابن

[1] انظر : في الفلسفة الإسلامية – منهج وتطبيقه – ، د. إبراهيم مدكور ٢٢/١ ، سميركو للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط٢/بدون تاريخ. تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، د. عمر فرّوخ ، ص ٢٧١ . النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد ، د. عاطف العراقي، ص ١٣٧ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥/١٩٩٣م . فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية ، د. مصطفى حسن النشار ، ص ٢٦٨ . مكتبة مدبولي ، القاهرة ، بدون تاريخ . الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، د. محمد الخطيب، ص ٣٧ .

رشد[١]. وقد جعل الإمام الغزالي مسألة قدم العالم وحدوثه على رأس المسائل الثلاث التي كفر بها الفلاسفة، كما يتضح في كتابه "تهافت الفلاسفة". ولم يقتصر تأثر فلاسفة الإسلام بمسألة قدم العالم وحدوثه، بل تأثروا كذلك بمسائل أخرى كمسألة النبوة، والمعاد. وقد صرَّح الشهرستاني في كتابه الملل والنحل هذا التأثر الفلسفي لعقيدة الشيعة الإسماعيلية قائلا: "أن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامه ببعض كلام الفلاسفة، إوصنفوا كتبهم على هذا المنهاج، فقالوا في الباري تعالى: انا لا نقول هو موجود، ولا لا موجود، ولا عالم، ولا جاهل، ولا قادر، ولا عاجز، وكذلك في جميع الصفات"[٢]. وقد أكَّد بذلك الدكتور إبراهيم مدكور، فقال: "لا شك في أن الإسماعيلية من أكثر الشيعة درسا وبحثا، شاءوا أن يفلسفوا تعاليمهم، ففلسفوا معها العقيدة الإسلامية كلها، وأدخلوا عليها كلّ ما وقفوا عليه من أفكار أجنبية، بين شرقية وغربية، وبخاصة الأفلاطونية المحدثة"[٣].

وانطلاقا من العنوان الرئيسي في هذا البحث وهو الأثر الفلسفي اليوناني القديم في الشيعة الإسماعيلة، فنقوم بتقسيم هذا البحث إلى مبحثين: المبحث الأول: لمحة عن الشيعة الإسماعيلية. والمبحث الثاني: تأثر الشيعة الإسماعيلية بالفلسفة اليونانية القديمة.

المبحث الأول

لمحة عن الشيعة الإسماعيلية

الشيعة الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة الكبرى –غير الزيدية والإمامية الإثنى عشرية–، ويعرف بالشيعة الباطنية لاعتقادها بأن للشريعة ظاهرا وباطنا[٤]. وأورد الإمام أحمد بن سليمان الزيديُّ في كتابه (حقائق المعرفة في علم الكلام) عن حقيقة المذهب الإسماعيلي قائلا: "وانتسب الباطنية إلى الإسماعيلية، وهم فرقة أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام، وقالوا: لكل ظاهر باطن"[٥]. يقول الإمام الزيدي القاسم بن محمد: "وأما الباطنية: فإنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، ولا يتقلدون بشيء من الشرائع"[٦]. ويقول ابن الجوزي: "الباطنية قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة، لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر ... ثم يذكر أنها من الشيعة الإسماعيلية المنسوبة إلى زعيم لهم يقال له محمد بن إسماعيل بن جعفر"[٧].

---

[١] الشهرستاني ومنهجه النقدي ، د. محمد حسيني أبو سعده ، ص ٨٨ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١/١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م . (أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه قدمها المؤلف إلى قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة. بإشراف : أ.د. محمد عاطف العراقي).

[٢] الملل والنحل ، ١٩٢/١ – ١٩٣ .

[٣] في الفلسفة الإسلامية –منهج وتطبيقه–، ٦٥/٢ .

[٤]المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص ٦٢/١، ط٢/ بدون تاريخ.

[٥]كتاب حقائق المعرفة في علم الكلام، ص ٥٠٠.

[٦]الجواب المختار عن مسائل عبد الجبار، ٧٢/١، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط١/١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م، ضمن مجموع كتب ورسائل الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد، تحقيق: محمد قاسم محمد المتوكّل.

[٧]تلبيس إبليس، ص ١٢٤ – ١٢٥ باختصار، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/١٩٨٥م، تحقيق: د. السيد الجميلي.

ويتبين من هذا التعريف أن الباطنية لقب خاص استخدم للدلالة على إحدى فرق الشيعة المنسوبة إلى الإسماعيلية، وتقول بالظاهر والباطن، وبوجوب تأويل الشريعة، لأن المراد منها الباطن دون الظاهر. فرفضوا الأخذ بظاهر القرآن.

ويجدر التنويه إلى أن مؤرخي الفرق في تقسيمهم لفرق الشيعة قد اتفقوا على وضع الغلاة كفرقة داخل الشيعة، وأن الإسماعيلية الباطنية توضع بين فرق الغلاة أحيانا –كما صنفها البغدادي – وتابعه في ذلك الدكتور برنارد لويس، وأحيانا أخرى تذكر كفرقة مستقلة من فرق الشيعة –كما صنفها الشهرستاني ونشوان الحميري[١] .

ومن ناحية أخرى، وقد لاحظ الدكتور محمد الجليند أن الإمام ابن تيمية لا يستخدم لقب "باطنية" عادة بمعنى محدّد لطائفة معيّنة، بل أطلقها لتشمل فرقا ومذاهب منها: الصوفية[٢] والإسماعيلية[٣] والفلاسفة[٤] والجهمية[٥]. وغيرهم الذين يقولون بالظاهر والباطن، ذلك لأن المعيار الأساسي عند إطلاق لقب الباطنية لدى ابن تيمية هو القول بالتفسير الباطني للقرآن[٦]. وفي هذا استقرّ عند الدكتور عبد الرحمن بدوي في تعريفه للباطنية بأنها: " لقب عام مشترك تندرج تحته مذاهب وطوائف عديدة، والصفة المشتركة بينها تأويل النّص الظاهر بالمعنى الباطن تأويلا يذهب مذاهب شتى، وقد يصل التباين بينها حدّ التّناقض الخالص، فهو يعني أن النصوص الدينية المقدّسة رموز و إشارات إلى حقائق خفيّة وأسرار مكتوبة"[٧]. وذكر لوك بنوا مؤلف الكتاب المسمى بـ (المذهب

---

[١]انظر: الفصل في الملل والنحل، ابن حزم، ١٣٨/٤. مختصر التحفة الإثنى عشرية، شاه عبد العزيز الدهلوي، ٢٩٨ وما بعدها. تاريخ الفلسفة العربية، حنا الفاخوري و خليل الجر، ١٨٩/١ وما بعدها، دار الجيل، بيروت، ط١٩٩٣/٣م. تاريخ الفكر العربي، د. عمر فرّوخ، ص ٢١٢. العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها، د. صابر طعيمة، ص ٤٣ .

[٢]وهم من أهل الحلول والاتحاد من أمثال ابن عربي وابن سبعين، انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣٦٣/٣، ٨٦/٦، ٢٣٤/٨، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

وجدير بالذكر هنا، أن " لوك بنوا " مؤلف الكتاب المسمى بـ (المذهب الباطني في ديانات العالم)، يرى أن التيار الباطني في الإسلام متمثلا في تعاليم الشيعة والتصوف، ويعتبر أن ابن عربي من أكبر شيوخ الباطنية العربية ومؤسّس الميتافيزياء العليا. راجع: المذهب الباطني في ديانات العالم، ص ١١٤ وما بعدها، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١٩٩٨/١م، ترجمة : نهاد خياطة.

[٣]انظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/٥، ٣٥٩/٥. ومنهاج السنة ٤٥٢/٣ .

[٤]وهم من أمثال ابن سينا. انظر: درء تعارض العقل والنقل، ٢٠٣/١، ٨٦/٥، ٢٣٨/٦. منهاج السنة ٢٠١/١.

انظر: د. مصطفى غالب في كتابه "ابن سينا" ص ١٢– ١٣، مكتبة الهلال، بيروت – لبنان، ١٩٧٩م. ود. عارف تامر في كتابه "مراجعات إسماعيلية" ص ٨٣–٨٤، دار الأضواء، بيروت – لبنان ، ط١٩٩٤/١م.

[٥]انظر: درء تعارض العقل والنقل، ١٨٤/٥ ، ١٩٦/٦.

[٦]انظر: الإمام ابن تيمية وقضية التأويل، ص ٢٣٩، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ط٢٠٠٠/٥م.

[٧]مذاهب الإسلاميين، ٧٥١/٢ ، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط١٩٩٦/١م.

الباطني في ديانات العالم)، يرى أن التيار الباطني في الإسلام متمثلا في تعاليم الشيعة والتصوف، ويعتبر أن ابن عربي من أكبر شيوخ الباطنية العربية ومؤسّس الميتافيزياء العليا[١].

وعلى هذا الأساس، فكان استعمال لفظ (الباطنية) توسيعا لتشمل جميع الفرق والمذاهب الذين يدّعون بأن للقرآن ظاهرا وباطنا ، سواء كانوا من الفلاسفة أم الشيعة أم التصوف وغيرهم. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة تأثير الباطنية على الفرق الإسلامية، وأما عند تقييدها وتخصيصها لفرقة معينة فتعني بها الشيعة الإسماعيلية التي ردّت عليها معظم الفرق الإسلامية كالأشعرية، والمعتزلة، والشيعة الزيدية، والمذهب الأخير هو موضوع بحثنا.

ويقرر الباحثون الإسماعيليون الباطنيون المعاصرون –ومنهم الدكتور مصطفى غالب والدكتور عارف تامر– بأن ابن سينا كان على مذهب الإسماعيلية الباطنية، واستدلوا على ذلك بأن ابن سينا قد ولد من أبوين إسماعيليين وأنه درس على أبيه —وهو داعي مطلق للإسماعيلية— علم التأويل الباطني، كما درس على يد أبي عبد الله الناتلي المنطق والفلسفة، ولم يكن النتالي سوى عالم من كبار علماء وفلاسفة الإسماعيلية، وواضح من كلامه عن النفس والعقل مزيج من العقائد الباطنية[٢].

والجدير بالذكر بأنه قد أخطأ بعض الباحثين في عزو الشيعة الزيدية إلى أنها من الفرق الباطنية، كما نشهد بذلك في كتاب (الحكومة الباطنية): "ومن الفرق الباطنية الزيدية التي تميزت بالمذهب العقلي "[٣]. فهذه النسبة غير صحيحة، لأنه من المعروف أن المذهب الباطني مذهب تعليمي، يعتمد على ما قاله الإمام، بينما الزيدية مذهب عقلي، إذن فهما متناقضان بعضهم بعضا، ولعل المؤلف لهذا الكتاب يقصد هنا بالجارودية من الزيدية، لأنهم الذين تطرفوا وغلوا في أمر الأئمة، ولكن بعد البحث أيضا لم نجد في آراء الجارودية أية إشارة تدل على قولهم بالظاهر والباطن.

والسؤال الذي يطرح نفسه، هو متى ظهرت الباطنية كفرقة من فرق الإسماعيلية ؟

وأشارت مصادر كتب الفرق والملل والنحل إلى أن ميمون بن ديصان القداح — وكان مولى لجعفر الصادق — هو أحد المؤسسين للدعوة الإسماعيلية الباطنية، وهو يدعو إلى إمامة محمد بن إسماعيل، وكان على يده انتشرت دعوة الإسماعيلية الباطنية، ويحدثنا عن ذلك عبد القاهر البغدادي أن الباطنية ظهرت في أيام المأمون وانتشرت في زمان المعتصم، وأن الذين أسسوا دعوة الباطنية —كما حكى أصحاب المقالات — شخصيات

---

[١]راجع: المذهب الباطني في ديانات العالم، ص ١١٤ وما بعدها، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، ط١/١٩٩٨م، ترجمة : نهاد خياطة.

[٢]انظر: د. مصطفى غالب في كتابه "ابن سينا" ص ١٢– ١٣، مكتبة الهلال، بيروت — لبنان، ١٩٧٩م. ود. عارف تامر في كتابه "مراجعات إسماعيلية" ص ٨٣–٨٤، دار الأضواء، بيروت — لبنان ، ط١/١٩٩٤م.

[٣]الحكومة الباطنية، د. حسن محمد الشرقاوي، ص ١٩٤ من الكتاب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، ط١/١٩٩٢م.

أبرزها ميمون بن ديصان الملقب بـ (القداح)، و محمد ابن الحسين الملقب بـ (ذيذان أو دندان)، وكان ميمون مولى لجعفر بن محمد الصادق[١]. وقد حدَّد الإمام محمد بن الحسن الديلمي[٢] زمان الذي نشأت فيه الباطنية، فذكر على وجه التحديد بأن الباطنية نشأت سنة (٢٥٠هـ)، ونص على ذلك قوله: "إن ابتداء وضع مذهب الباطنية سلط الله عليهم كان في سنة خمسين ومائتين من الهجرة، وضعه قوم تطابقوا وكان في قلوبهم بغض للإسلام وبعض النبي ﷺ من الفلاسفة، والمجوس، واليهود، وكان آخر دعاتهم ميمون القدح[٣] .

ومما سبق يفهم أن دعوة الباطنية قد أسست على يد جماعة من الناس فمنهم الفلاسفة، والمجوس، واليهود، وأنها انتشرت على يد ميمون القداح، ذلك لأن مبادئ الباطنية لم تكن معروفة قبل ظهوره، فبزعامة ميمون القداح نظمت مبادئها السرية لأول مرة، فهو الذي يقوم بتنظيم هذه الفرقة داخل السجن، فوضع هو وأصحابه أنظمة الفرقة، وقاموا بتعليم دعاتها فيه، ولما خرج من السجن أرسل دعاتهم إلى المناطق المختلفة لينشروا مبادئهم وتعاليمهم الباطنية[٤]. غير أن بعض المصادر تشير إلى أن الباطنية ظهرت على يد ابنه عبد الله بن ميمون سنة، وهذا ما ذكره صاحب كتاب (كشف أسرار الباطنية) للحمادي[٥] فقال: "وأصل هذه الدعوة الملعونة التي استهوى بها الشيطان أهل الكفر والشقوة ، ظهور عبد الله بن ميمون القداح بالكوفة ... وكان ظهوره في سنة ست وسبعين ومائتين (٢٧٦هـ) من التاريخ للهجرة"[٦]، وتابعه في ذلك الإمام أحمد بن يحيى المرتضى، حيث قال: "وفشا مذهبهم بعد مائتين من الهجرة ، أحدثه عبد الله بن ميمون القداح ، وكان مجوسيا ، فتستر بالتشيع ليبطل الإسلام"[٧].

---

[١]انظر: الفرق بين الفرق، ص ١٦، ٢٦٦، ٢٦٨. اتّعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، المقريزي، ٣٩/١ – ٤٠ ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، ط١٤١٦/٢هـ – ١٩٩٦م، تحقيق: د. جمال الدين الشيال.

[٢]محمد بن الحسن الديلمي: من علماء الزيدية، توفى سنة ٧١١هـ، وأهم مؤلفاته: "قواعد عقائد آل محمد"، وبهذا الإسم طبع جزء منه وهو ما يتعلق بالباطنية بتقديم: الشيخ زاهد الكوثري. وألف هذا الكتاب سنة ٧٠٧هـ. ويعتبر هذا الكتاب من أصول كتاب الزيدية اشتمل على فضل أهل البيت، وذكر مذهب الإمامية الإثنى عشرية وإبطاله، وتكفير الباطنية، وأن مذهب أهل البيت الترضية على الصحابة أو التوقف. انظر: البدر الطابع، الإمام الشوكاني، ١٩٤/٢. أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام الوجيه، ص ٨٨٣.

[٣]قواعد عقائد آل محمد، ص ١٢ – ١٣ باختصار، مكتبة اليمن الكبرى، الصنعاء، ١٩٨٧م.

[٤]انظر: مقدمة كتاب مشكاة الأنوار، الدكتور محمد الجليند، ص ٦ وما بعدها، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، ط١٩٧٣/١م. إخوان الصفا، د. عمر الدسوقي، ص ٢١، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط٣/بدون تاريخ .

[٥]هو محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي، من أعلام الزيدية، أنه كان معاصرا للدولة الصليحية في اليمن، دخل إلى مذهب الصليحي القرمطي ليتبين له حقيقة الدعوة الباطنية فيه، فتظاهر باعتناق المذهب، واطلع على كتبه ، ولما عرف حقيقة هذا المذهب الباطني ، عقد على كتابة ما يشاهده بعينه، لكى يكشف النقاب عن أسرار المذهب وكان عنوان كتابه "كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة"، توفى نحو ٤٧٠هـ . انظر مقدمة كشف أسرار الباطنية، د. محمد عثمان الخشت، ص ٩ – ١٠، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٨٨م. ومقدمة كشف أسرار الباطنية ، محمد بن علي بن الحسين الأوكوع، ٤٥ – ٤٦، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعا، ط١٤١٥/١هـ – ١٩٩٤م.

[٦]انظر: ص ٧١ من كتاب كشف أسرار الباطنية، مكتبة ابن سينا، القاهرة ١٩٨٨م.

[٧]كتاب الملل والنحل، ٣٦/١، ضمن مقدمة البحر الزخار.

ولكن الصحيح الأول، فظهرت الباطنية على يد ميمون القداح الذي توفي حوالي سنة (١٩٨هـ). وأما رواية الحمادي، فيرى الدكتور محمد عثمان الْخُشْت في تعليقه للنص أنه على حسب المصادر التاريخية العديدة يبدو أن المؤلف هنا يخلط بين ميمون القداح وابنه عبد الله ، فتارة يذكر عبد الله على أنه أصل هذه الدعوة الباطنية، وتارة يذكر أباه ميمونا[١]. وفي موضع آخر لاحظ محمد بن الحسين الأكوع عند تعليقه للنص بوقوع الوهم والخطأ، ويرى أن الناسخ أخطأ في النقل عن المؤلف ، فظهور ميمون القداح قبل الستين ومائتين من الهجرة، وأورد ابن النديم في(الفهرست)[٢] بأنه جرت مكاتبة بين عبد الله بن ميمون وقرمط سنة إحدى وستين ومائتين (٢٦١هـ)، هذا إن أراد ميمون القداح، وإن أراد ولده عبد الله، فذلك أدخل في الإعجاز –كما يقال– فإن ظهوره بسجلماسة من الغرب سنة ٢٩٦هـ وما يدل على وهم العبارة أن خروج ابن فضل ومنصور اليمن من الكوفة إلى اليمن سنة ٢٦٨هـ[٣].

وإلى جانب ذلك ، فقد ذهب النَوْبَختي إلى القول بوحدة الحركتين الخطابية والإسماعيلية الباطنية[٤]. أو نقول بأن الإسماعيلية نشأت من الخطابية، بل ذهب القمي إلى أن الإسماعيلية الخالصة فهم الخطابية"[٥]. ذلك لما مات أبو الخطاب تحوّل أتباعه إلى محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق وعدّوه الإمام وأعلنوا ولاءهم له ، فكانت فرقة الإسماعيلية هي الخطابية نفسها[٦]. وقد أكد ذلك الإمام أحمد بن سليمان في حديثه عن الفرق الإمامية أن الإسماعيلية هم المباركية والخطابية، فقالت المباركية بإمامة محمد بن إسماعيل، وقالت الخطابية بإلهية جعفر[٧]. ورغم أن كُتّاب المقالات من أهل السنة لا يشيرون في كتاباتهم إلى وجود صلة مباشرة بين الخطابية والإسماعيلية، إلا أن ما أورده من عقائد الخطابية يؤيد ما ذهب إليه النَوْبَختي من وحدة الحركتين، فالشهرستاني ينسب إلى الخطابية أسلوب التأويل الإسماعيلي لآيات القرآن الكريم[٨]، والأشعري ينسب للخطابية عقيدة الإمام الصامت والناطق وهي عقيدة اختصت بها الإسماعيلية[٩]. فكل هذه الشواهد المستمدة من التشابه بين العقائد المذهبية لكل من الخطابية والإسماعيلية تدلنا دلالة واضحة على وجود علاقة الخطابية

---

[١]كشف أسرار الباطنية، محمد بن أبي القبائل الحمادي، هامش ٢ من الصفحة ٣٢.

[٢]انظر: ص ٢٦٥ من الكتاب، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.

[٣]كشف أسرار الباطنية، محمد بن أبي القبائل الحمادي، هامش ٣ من الصفحة ٧١، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٨٨م.

[٤]فرق الشيعة، ص ٧٩. وانظر: أصول الإسماعيلية، برنارد لويس ص ٨٣ وما بعدها، دار الحداثة، بيروت – لبنان، ط١/١٩٨٠م. ترجمة: حكمت تلحوق، وراجعه الدكتور خليل أحمد خليل.

[٥]كتاب المقالات والفرق، ص ٨١ ، طهران، ١٩٦٣م، تحقيق: محمد الحسين آل كاشف الغطاء .

[٦]معرفة الرجال، أبو عمر بن عبد العزيز الكشي، ص ٥٨، بومبى، ١٣١٧هـ.

[٧]كتاب حقائق المعرفة في علم الكلام، ص ٤٩٩ – ٥٠٠.

[٨]الملل والنحل، ١٧٩/١ وما بعدها، وانظر: الفصل في الملل والنحل، ابن حزم، ١٤٢/٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ .

[٩]مقالات الإسلاميين، ص ١٠ .

والإسماعيلية[١]. وأشار إلى ذلك أيضا الدكتور علي سامي النشار، إذ قال: "ولا شك أن الكثير من أصول الخطابية قد دخلت في عقائد الإسماعيلية فيما بعد، ولكن تم هذا بعد مقتل أبي الخطاب، واعتناق كثير من أتباعه للإسماعيلية في عهد عبد الله بن ميمون القداح"[٢].

وعلى أية حال، فإن الباطنية تمثل إمتدادا لغلاة الشيعة [٣] الذين لم يقتصروا على القول بأن عليا أفضل الخلق بعد رسول الله ε، بل نجدهم يدّعون أنه في منزلة النبوة كما يتضح فيما بعد، وفي ذلك يقول الدكتور محمد الجليند: "وأما الباطنية بمعناها المحدد كطائفة مخصوصة تسمت بهذا الاسم في تاريخ الفلسفة الإسلامية، فيعتبرها ابن تيمية امتدادا طبيعيا للغلو في التشيع، لأن الباطنية والقرامطة وجدتا في البيئة الشيعية التربة الخصبة والمناخ الصالح لتربية أفكارهم وحصاد نتائجها " [٤] . ويرى هنري كوربان أن المذهب الإسماعيلي الباطني هو أول مذهب عرفاني في الإسلام [٥] .

وفي موضع آخر، يرى الإمام محمد بن الحسن الديلمي أن عقيدة الباطنية كغيرها من الشيعة الغلاة تستمد مادتها الأولية من عقيدة الإمامية الإثنى عشرية . وقد صرّح بذلك قائلا: " إن أصول مذهب الغلاة والمفوضة والباطنية من الإسماعيلية والإمامية الإثنى عشرية مختلطة بعضها ببعض في كثير من المسائل، ولذلك قيل : الإمامية دِهليز الباطنية [٦] ، لأن الكل دخلوا في الشيعة من جهتهم ، وكلهم يدعون التشيع ويغلون في

---

[١]دولة الإسماعيلية في إيران، د. محمد السعيد جمال الدين، ص ٢٢، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ط١/١٩٧٥م. (والكتاب رسالة ماجستير حصل عليها المؤلف من كلية الآداب، جامعة عين شمس).

[٢]نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ٢/٢٧٨، دار المعارف ، القاهرة، ط ٨/ بدون تاريخ.

[٣]ولمزيد من التفصيل راجع : غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام، د. فتحي محمد الزغبي، ص ٦٩ وما بعدها. مطابع غباشي، طنطا – القاهرة ، ط١/١٩٨٨م . (أصل الكتاب رسالة ماجستير حصل عليها المؤلف من كلية أصول الدين قسم العقيدة والفلسفة ، جامعة الأزهر بطنطا، سنة ١٩٨٥م. بإشراف: أ.د/ يحى هاشم حسن فرغل).

[٤]الإمام ابن تيمية وقضية التأويل، ص ٢٣٩.

[٥]تاريخ الفلسفة الإسلامية، هنري كوربان ، ص ١٤٠، منشورات عويدات، بيروت – لبنان، ط١/١٩٦٦م، ترجمه: نصير مروة وحسن قبيسي .

[٦]والدهليز بالكسر ما بين الباب والدار فارسي معرب والجمع الدهاليز. وهو المدخل بين الباب والدار. وبالفارسية: داليز ودالاز. انظر: لسان العرب، ٥/٣٤٩، دار صادر، بيروت، ط١/ بدون تاريخ. المعجم الوسيط، ١/٣٠٠، أخرجه د. إبراهيم أنيس ورفاقه، القاهرة، ط٢/بدون تاريخ.

الدين ويخرجون من طريق المسلمين"[١] . ويرى الإمام أبوا القاسم محمد الحوثي [٢] أن مذهب الغلاة والمفوضة ، هم الذين مهدوا مذاهب الباطنية [٣] .

والغلاة كما عرفها الشهرستاني: أنهم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق وهم على طرفى الغلو والتقصير[٤].

والملاحظ أن غلاة الشيعة بعد أن بدأوا بفرقة واحدة صاروا بعد ذلك فرقا وطوائف مختلفة، ولكن رغم هذا التفرق وذلك الاختلاف، إلا أن عقائدهم مشتركة وأفكارهم متشابهة، وكان أول فرق الغلاة هي السبئية ثم جاء بعدها غلاة الكيسانية. وكانت أهم اتجاهات الغلو في التشيع هي: الغلو السبئي والكيسانية، والغلو الإسماعيلي الباطني، والغلو المنشق عن الإثنى عشرية.

المبحث الثاني

تأثر الشيعة الإسماعيلية بالفلسفة اليونانية القديمة

أورد الدكتور فرهاد دفتري (Farhad Daftary)[٥] في كتاب حرّره بعنوان:"الإسماعيليون في العصر الوسيط"[٦] أن دخول الأفكار الفلسفية اليونانية إلى العقائد الباطنية تتم على أيدي دعاتهم من أمثال: الداعي أبو

---

[١]قواعد عقائد آل محمد، ص ١١ .

[٢] هو الإمام المهدي لدين الله محمد بن القاسم الحوثي الحسيني، من أئمة الزيدية، وقام بالإمامة سنة ١٣٠٧هـ، توفي سنة ١٣١٩هـ ، وينتهي نسبه إلى الإمام يحيى بن حمزة (ت٧٤٩هـ)، ومن مؤلفاته: "الموعظة الحسنة". انظر: أتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين ومن قام باليمن الميمون، محمد بن محمد بن يحيى زبارة، ص ١٥٣ – ١٥٤ .

[٣]انظر: الموعظة الحسنة، ص ٤٨، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعا، اليمن، ط١٤٢٤/٢هـ ٢٠٠٣م، تعليق : السيد إبراهيم بن محمد المؤيدي

[٤]الملل والنحل، ١٧٣/١.

[٥] هو رئيس دائرة المطبوعات والبحث الأكاديمي في معهد الدراسات الإسماعيلية بلندن – بريطانيا ، متخصص في الدراسات الإسماعيلية ، وله عدة أبحاث ومنشورات . ومعظمها ترجم إلى اللغة العربية، منها (الإسماعيليون – تاريخهم وعقائدهم –) و (خرافات الخشاشين و أساطير الإسماعيليين).

[٦] والعنوان الأصلي لهذا الكتاب: (Mediaeval Ismaili History and Thought).

وتتناول فصوله وهي التي غطّت موضوعات مختارة وتطورات لها علاقة بفترة ما قبل الفاطميين ، والفترة الفاطمية والنزارية من التاريخ الإسماعيلي، تتناول مجالا واسعا ومنوعا من الموضوعات التي تراوحت ما بين قرامطة البحرين وعلاقاتهم بالفاطميين، والعقيدة الكوزمولوجية الأقدم للإسماعيليين، والتراث العلمي وتطوّر الفقه في ظل الفاطميين، إلى فهم الإسماعيليين للآخر، وأصول الحركات الإسماعيلية النزارية، ومنظور سلجوقي إلى النزاريين الأوئل، ونظرة جديدة حول الانتماءات الدينية لنصير الدين الطوسي، وتراث الجنان عند الإسماعيليين الهنود الخوجا . انظر التمهيد من الكتاب ص ٩ .

حاتم الرازي، والداعي محمد بن أحمد النسفي، فقد قام هذان الداعيان وخلفاؤهما، وهم الذين بدأوا مع أبي يعقوب السجستاني بالدعوة باسم الأئمة –الخلفاء الفاطميين– بدمج لاهوتهم الإسماعيلي، بطريقة أصيلة عالية المستوى بصيغة من الفلسفة الأفلاطونية المحدثة كانت سائدة آنئذ في إيران وما وراء النهر"[١].

وعلى هذا الأساس، فيؤكد لنا الدكتور هاينز (Heinz Halm)[٢]. على تأثر الإسماعيلية الباطنية بالفلسفة اليونانية، ومدعما رأيه بأن ستانيسلاس غوريار (S. Guyard) قد توصل في كتابه حول عقائد الإسماعيليين إلى الاستنتاج بأن عقائد الإسماعيليين كانت مبنية على الفلسفة اليونانية [٣].

ويتضح مدى تأثر الباطنية بالفلسفة اليونانية استخدمهم للمصطلاحات الفلسفية، كتعبيرهم عن الله بالمحرك الأول، وتعبيرهم عن الوجود والموجود بـ (أيس) ، وتعبيرهم عن العدم والمعدوم بـ (ليس)، وتعبيرهم عن الأنا الشخصية بـ (الإنية) ، فكل هذه التعبيرات الفلسفية استخدمها واصطلح عليها الدعاة الإسماعيليون[٤]. ومن العناصر الأفلاطونية الحديثة التي اقتبسها الإسماعيلية هي فلسفة الفيوضات وترتيبها، ومن ثم، فمن يقرأ كتب الإسماعيلية الباطنية يجد نفسه أمام الفلسفة الأفلاطونية الحديثة [٥].

وأخذت الإسماعيلية عن أفلاطون نظرية المثل التي تقول: بأن ما في العالم الحسي أشباح لمثل في العالم العلوي. فقال الإسماعيلية: إن ما في عالم الدين مُثُل لممثولات في العالم الروحاني[٦]. وهذا بعينه نظرية الأفلاطونية نقلها الإسماعيلية إلى مذهبهم، فما من مثل إلا وله ممثول، حتى طبقوها على أئمتهم فقالوا: إن الإمام الباقر محمد بن علي وهو الرابع من الأتماء، مثل المضقة في الروحانية مقابلا لموسى كليم الله، ومقابل للشمس في الفلك الرابع، ولما كان الرابع من الأتماء كان الحسن بن علي υ ممثول الطالع ، والباقر υ ممثول الرابع[٧].

ويهدف هذا الكتاب –كما يحدّد محرّره – إلى جعل بعض نتائج التبحر الحديث في الدراسات الإسماعيلية المتبعثرة حول جوانب من الفكر والتاريخ الإسماعيليين من العصر الوسيط ، ولاسيما تلك الموضوعات التي لم تلق اهتماما كافيا من قبل الأدب البحّري المعاصر ، في متناول الطلبة والدارسين ، بل وفي متناول الإسماعيليين أنفسهم . ص ٢٤ من الكتاب . ولا شك لمن يقرأ هذا الكتاب ، أنه يُكتب دفاعا عن العقيدة الإسماعيلية الباطنية .

[١] انظر : المقدمة ص ١٤ ، دار المدى للثقافة والنشر ، سوريا – دمشق ، ط١/١٩٩٩م . وقارن : تاريخ الإسماعيلية، د. عارف تامر ، ١٥١/٤ .

[٢] أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة توبنجن، وهو من الألمان البارزين في الدراسات الإسلامية ومختص في الدراسات الإسماعيلية. ومن مؤلفاته: كتاب "الفاطميون وتقاليدهم في التعليم". وعنوانه الأصلي:
" The Fatimids and their Traditions of Learning "

[٣] كوزمولوجية الإسماعيليين من لعهد ما قبل الفاطميين ، هاينز هالم ، ص ٨٣ ، ضمن كتاب " الإسماعيليون في العصر الوسيط ".

[٤] انظر : راحة العقل ، الداعي حميد الدين الكرماني ، ص ١٩٧ .كتاب الافتخار ، الداعي أبو يعقوب السجستاني، ص ٢٤ . جامع الحكمتين ، ناصر خسرو ، ص ٢٢٦ وما بعدها . الرسالة المذهبة ، الوزير يعقوب بن كلّس ، ص ٧٢.

[٥] طائفة الإسماعيلية ، د. محمد كامل حسين ، ص ١٧٦ . تاريخ الفلسفة العربية ، حنا الفاخوري و خليل الجر، ٢٠٤/١ .

[٦] طائفة الإسماعيلية ، د. محمد كامل حسين ، ص ١٧٥ .

[٧] كتاب زهر المعاني ، الداعي إدريس عماد الدين ، ص ١٩١ .

وكذلك أخذ الإسماعيلية رأى الأفلاطونية الحديثة في الإبداع وظهور النفس الكلية عن العقل الكلي، وأن العالم خلق بواسطة اللوجوس (الكلمة) فجاء الإسماعيلية وقالوا: إن الكلمة التي خلق عنها العالم هي كلمة (كن) التي وردت في الآية القرآنية : [إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ][١]. وأن كلمة (كن) مكونة من الكاف والنون ، فالكاف رمز على القلم أو العقل الكلي ، والنون رمز على اللوح أي النفس الكلية، وبهذا فسر الإسماعيلية قوله تعالى: [ن وَالْقَلَمِ][٢] . أن الله يقسم بأعز مخلوقين عنده وهما اللوح والقلم[٣].

ومن ناحية أخرى ، يلاحظ هودكسون أنه قد أضفى الإسماعيلية على التأويل مشربا واحدا، وذلك في استخدامه في أغراض ثلاثة كبيرة مترابطة، فهو يمثل تصورا للكون مشتقا من مصادر أفلاطونية حديثة، وهو يفسر الآخرة تفسيرا تاريخيا يقوم على الدين، والدورات، وأحيانا بالتناسخ[٤] . وأخيرا فهو يبرز طبقات المشايخ للفرقة الذين تقابل درجاتهم على تفاوت الدرجات العديدة للتصور الأفلاطوني المحدث للكون[٥]. والواقع أن فلسفتهم الطبيعية بما فيها من أفكار عن العالم العضوي والعالم غير العضوي، وعلم النفس، وعلم الحياة وما إلى ذلك، فإنها تستند إلى فلسفة أرسطو، ولا تختلف عنها في جوهرها [٦] . كما يعتمد الباطنية جزءا من آرائها على الفيثاغورية [٧] فكان لفكرة الأعداد والحروف مكان واضح في أفكارهم ولدى طوائفهم المختلفة، والتي تعتبر الحروف رموزا ترمز إلى أعداد ، والأعداد ترمز إلى حروف، كما اعتبرت أن للحروف خصائص خاصة[٨]. و يتجلى ذلك بوضوح في عدة المؤلفات الإسماعيلية الباطنية ك "كتاب الافتخار" للداعي أبي يعقوب

---

[١] سورة يس : ٨٢ .

[٢] سورة القلم : ١ .

[٣] طائفة الإسماعيلية ، د. محمد كامل حسين ، ص ١٧٥ .

[٤] ويقول الدكتور محمد الخطيب : " أن جميع الطوائف الباطنية تؤمن بالتناسخ ، إما بين الإنسان والإنسان كما تقول به الإسماعيلية والدرزية ، أو بين الإنسان والحيوان كما تقول به النصيرية " . الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، ص ٤٣ .

ولكن الملاحظ أن الشيعة الإسماعيلية الباطنية خاصة منقسمون في التناسخ إلى قولين، فذهب بعضهم إلى القول بالتناسخ، بينما ذهب أكثرهم إلى عدم إثباته – أى التناسخ –. وأقول بهذا الرأي لأن الأغلبية منهم يقولون بمعاد الروح دون الجسد، وهذا الموقف إن دل على شيء، فإنما يدل على عدم قبولهم القول بالتناسخ، ولذلك لا أرى التعميم في هذه المسألة.

[٥] دائرة المعارف الإسلامية ، هودكسون " مادة الباطنية " ، ٨٩/٦ ، دار الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ .

[٦] انظر : تاريخ الفلسفة العربية ، حنا الفاخوري و خليل الجر ، ٢٠٧/١ .

[٧] وكان فيثاغورس أول من وضع لفظة (الفلسفة) إذ قال : " لست حكيما ، فإن الحكمة لا تضاف لغير الآلهة، وما أنا إلا فيلسوف أى محب الحكمة " . ويتلخص مذهبهم أن هذا العالم أشبه بعالم الأعداد منه بالماء أو النار أو التراب، وقالوا : إن مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات ، أو إن الموجودات أعداد وإن العالم عدد ونغم . وبهذا أسقطوا من الأجسام الطبيعية خصائصها التي تبدو للحواس ، = = ولم يحتفظوا إلا بما فيها من تناسب ونظام يعبر عنها بأرقام، وهم أول من قال بالتقمص أو التناسخ في اليونان، فيعتقدون أن النفس بعد الموت تهبط إلى (الجحيم) فتتطهر بالعذاب ، ثم تعود إلى الأرض فتحل جسما بشريا أو حيوانيا أو نباتيا . ولا تزال مترددة بين الأرض والجحيم حتى يتم تطهيرها . انظر : دروس في تاريخ الفلسفة ، د. إبراهيم مدكور ، و الأستاذ يوسف كرم، ص ٢٢ – ٢٣ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٤م .

[٨] انظر : هيراقليطس – فيلسوف التغير وأثره في الفكر الفلسفي – ، د. علي سامي النشار وآخرون ، ص ٣٠٧ – ٣٠٩ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

السجستاني[١] . وكتاب "إثبات الإمامة" للداعي أحمد النيسابوري[٢]. وكتاب "راحة العقل" للداعي حميد الدين الكرماني وهو تلميذا للأول[٣]. ويذكر الدكتور مصطفى غالب أهمية فكرة الأعداد لدى الباطنية أنها مطابقة لصور الموجودات وأنها أول ما أيدت به النفس من المعلومات، وأنها الطريق الحقيقي إلى التوحيد، فسائر العلوم موجودة في علم العدد، لأن العلوم تابعة للعدد، وهو أصل لها كلها، وهي فروع له، وهو القول الذي تفرعت عنه المقولات، وشجرة اليقين، ومبدأ الشرع والدين، وعليه بنيت الصلوات، وبه عرفت العبادات، وبه يعرف الزمان[٤].

وانطلاقا من أهمية هذه الفكرة –الأعداد والحروف– فيمكن القول إن النزعة الباطنية التي تميزت بها الفلسفة الفيثاغورية انسجمت مع ميول الإسماعيلية، ولذا وجدت استجابة لها لدى الكثيرين من مفكري الشيعة الإسماعيلية[٥]. وفي ذلك يرى الدكتور علي سامي النشار أن الفيثاغورية المحدثة من أهم المصادر الإسماعيلية في مختلف صورها، وبالإضافة إلى الأفلاطونية[٦].

والسؤال المطروح بنفسه –ونحن بصدد الحديث عن أثر الفلسفة في الشيعة الإسماعيلية– ، هو ما الدافع إلى اهتمامهم بالفلسفة اليونانية القديمة؟.

اختلف الباحثون في الإجابة على هذا السؤال ، فيرى إيفانوف (W. Ivanov) أن الأسباب التي دفعت الباطنية إلى اهتمامهم بالفلسفة ترجع إلى رغبتهم في حلّ إشكالية التوفيق بين فكرة التوحيد والثنائية الموجودة في العالم بين الخير والشر، حيث إن أبرز عناصر المذهب الإسماعيلي هي الفلسفة الأفلاطونية الجديدة المستقاة على نحو مباشر من تاسوعات أفلوطين، أو من شراحه المتقدمين، ولكن من بعض النسخ المتأخرة التي زيفت إلى حدّ كبير واختلطت بمسائل مختلفة الأجناس، وقد حاولت الإسماعيلية أن تجد في الفلسفة الأفلاطونية حلاّ يوفق بين فكرة التوحيد وأثنينية العالم الظاهر[٧]. ويرى الدكتور محمد إقبال أنهم يلجأون إلى الفلسفة لمحاولتهم تفسير التعاليم الدينية من جديد[٨]. ومن هنا، اقتبسوا الفكر الفلسفي من فلاسفة الإغريق، وأدخلوها على نظامهم الفكري الإسلامي"[٩]. ولذلك إذا استقرأنا مؤلفات الإسماعيلية نجد أنها تزخر بنظرات فلسفية إلى الكون والوجود .

---

[١] كتب فيه بابا خاصا بعنوان : " في معرفة الحروف العلوية السبعة " . انظر : ص ٤٧ من الكتاب .

[٢] انظر : ص ٥٨ وما بعدها .

[٣] انظر : ص ٢٣٦ ، ٢٤٩ .

[٤] مفاتيح المعرفة ، ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

[٥] انظر : تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ماجد فخري ، ٢٢٥ ، الدار المتحدة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ترجمة : د. كمال اليازجي .

[٦] نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام ، ٣٠٧/٢ .

[٧] دائرة المعارف الإسلامية ، ٣٩٠/٣ ، دار الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ .

[٨] ماوراء الطبيعة في إيران ، ص ١٠٢ ، ترجمة : د. حسين مجيب المصري ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٨٧م.

[٩] الإمامة في الإسلام ، د. عارف تامر ، ص ١٠٢ .

وقد رجع الدكتور محمد الجليند اهتمام الشيعة الإسماعيلية بالفلسفة إلى اتفاقهم في قضية التأويل الرمزي، فقال: "وكان معظم اهتمام الباطنية بالفلاسفة يرجع إلى اتفاقهم وإياهم على ردّ نصوص الأنبياء وتأويلها إلى رموز مغلقة ، لا معنى لها لدى السامع العربي"[١].

ويمكن القول، إن ما سبق ذكره من آراء العلماء المحدثين في محاولتهم لتفسير اهتمام الباطنية بالفلسفة، كلها صحيحة، وذلك لأن الباطنية مذهب توفيقي، فحاولوا أن يوفقوا بين عقائد الأديان، بطريق التأويل، ليتوصلوا في النهاية إلى إنشاء دين جديد على راية أو علم باسم (الباطنية).

وأما الشيعة الإسماعيلية الباطنيون أنفسهم –كما يرى الدكتور مصطفى غالب– فرأوا أنهم دعموا معتقداتهم الدينية بنظريات فلسفية وتأويلات باطنية، اكتسابا أو استنباطا، فأصبحت الفلسفة بنظرهم وسيلة لتقييم العقيدة[٢]. واستنادا إلى هذا الرأي، فهم يعتبرون الفلسفة فوق الشريعة، حيث أعرضوا القضايا الدينية على ميزان الفلسفة، إذن فالدين في نظر الباطنية محل اعتبار من قبل الفلسفة، فما ترى الفلسفة من الدين صحيح فهو صحيحا، وما تراه باطلا فهو باطل. ومن جانب آخر يذكر الدكتور عارف تامر أن علماء الإسماعيلية استعملوا الفلسفة للتعبير عن الدين، إذ يقول: " نهلوا من ينابيع المدرسة اليونانية الفلسفية، والمشائية، وما خلفه أرسطو، وأفلاطون، وأفلوطين، وفيثاغوريس، وحكماء الإسكندرية ... واستخدموها في التعبير عن تعاليمهم الدينية"[٣]. ويفهم من هذا النص أن الدين لا يستطيع أن يعبر عن نفسه. وإنما يحتاج إلى تعبير فلسفي . وهذا في الحقيقة بعيد عن الصواب، فلا يحتاج الدين إلى المساعدة في التعبير عنه، فقد عبر نفسه بأدلة عقلية والبراهين اليقينية، يقول الإمام ابن تيمية: "والقرآن مملوء من الأدلة العقلية، والبراهين اليقينية على المعارف الالهية، والمطالب الدينية"[٤].

ومن هنا، لا وجه للمقارنة بين أدلة القرآن وبين أدلة الفلاسفة والمتكلمين، لا سيما الاستعانة بأدلتهم في التعبير عن الدين.

وخلاصة القول، قد اتضح من خلال هذا العرض ، مدى تأثير المذاهب الفلسفية اليونانية على الإسماعيلية الباطنية ، ولذلك نستطيع القول بأن أصولها الفكرية ليست من الإسلام في شيء، وإنما عبارة عن مجموعة من التصورات الفلسفية وعقائد الأديان المغايرة له، ففكرهم فكر وافد ، وفلسفة طارئة على الدين. إذن فلا تعدو أفكارهم عن الفكر اليوناني بمذاهبها المختلفة، فأخذوا عن أرسطو، وأفلاطون، وأفلوطين، وفيثاغوري.

---

[١] مقدمة مشكاة الأنوار ، ص ١١ .

[٢] الحركات الباطنية في الإسلام ، ٩٩ . تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص ٤١–٤٢ . الإمامة وقائم القيامة ، ص ١٤٨ .

[٣] تايخ الإسماعيلية ، ١٥١/٤ .

[٤] مجموع الفتاوى ، ١٣٧/١٣ .

والحقيقة –كما يرى القاضي ابن العربي – أنهم يعتقدون رأى الفلاسفة للنيل من الإسلام[١]. ثم تظاهروا بالعقلانية اقتداء بالمعتزلة. مع أن هناك فارقا كبيرا بينهم وبين المعتزلة في استخدامهم العقل، فالمعتزلة يلجأون إلى العقل للدفاع عن الدين ، بينما هم يستخدمونه لتقويض أسس جميع الأديان[٢].

وفي ذلك يقول دوزي عن ابن ميمون القداح في جعلهم رجال الفلاسفة في المقام الأول كالمؤيدين للدعوة الباطنية:" لم يبحث ابن ميمون عن أنصاره الحقيقيين بين الشيعة الخلص ، ولكن بين الثنوية والوثنيين وطلاب الفلسفة اليونانية، ولم يكن يعتمد إلا على الطائفة الأخيرة، وإليهم وحدهم استطاع أن يفضي بسره، وخفي عقيدته"[٣]. فعلماء الإسماعيلية عولوا على طلاب الفلسفة في تفهم دعوتهم ، لأنهم تحرروا عل الأقل من محبة الشريعة، والتعصب لها، وصار عندهم بعض الاستعداد للتنكر لها، فبعض الآراء الفلسفية التي اعتقدوها لم تكن توافق العقيدة[٤].

مراجع البحث

- ابن سينا، د. مصطفى غالب، مكتبة الهلال، بيروت – لبنان، ١٩٧٩م.
- اتّعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، المقريزي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، ط٢/١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، تحقيق: د. جمال الدين الشيال.
- أصول الإسماعيلية، برنارد لويس، دار الحداثة، بيروت – لبنان، ط١/١٩٨٠م. ترجمة: حكمت تلحوق، وراجعه الدكتور خليل أحمد خليل.
- الإمام ابن تيمية وقضية التأويل، د. محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٥/٢٠٠٠م.
- تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ماجد فخري، الدار المتحدة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ترجمة : د. كمال اليازجي.
- تاريخ الفلسفة الإسلامية، هنري كوربان، منشورات عويدات، بيروت – لبنان، ط١/١٩٦٦م، ترجمه: نصير مروة وحسن قبيسي.
- تاريخ الفلسفة العربية، حنا الفاخوري و خليل الجر، دار الجيل، بيروت، ط٣/١٩٩٣م.
- تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/١٩٨٥م، تحقيق: د. السيد الجميلي.

---

[١] انظر : العواصم من القواصم ، ص ٦٢ .

[٢] تاريخ الفلسفة العربية ، حنا الفاخوري و خليل الجر ، ١/٢٠٥ .

[٣] Eassai sur I' Histoire de I'Islamisme – عن اخوان الصفا ، د. عمر الدسوقي ، ص ١٣٦ – .

[٤] اخوان الصفا ، د. عمر الدسوقي ، ص ١٣٥ – ١٣٦ .

- الجواب المختار عن مسائل عبد الجبار، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط١/١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ضمن مجموع كتب ورسائل الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد، تحقيق: محمد قاسم محمد المتوكّل.
- الحكومة الباطنية، د. حسن محمد الشرقاوي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١/١٩٩٢م.
- دائرة المعارف الإسلامية، هودكسون " مادة الباطنية "، دار الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- دولة الإسماعيلية في إيران، د. محمد السعيد جمال الدين، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ط١/١٩٧٥م. (والكتاب رسالة ماجستير حصل عليها المؤلف من كلية الآداب، جامعة عين شمس).
- الشهرستاني ومنهجه النقدي، د. محمد حسيني أبو سعده، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ط١/١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م . (أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه قدمها المؤلف إلى قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة. بإشراف : أ.د. محمد عاطف العراقي).
- طائفة الإسماعيلية، د. محمد كامل حسين، تاريخ الفلسفة العربية ، حنا الفاخوري و خليل الجر، ١/٢٠٤.
- غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام، د. فتحي محمد الزغبي، مطابع غباشي، طنطا – القاهرة ، ط١/١٩٨٨م . (أصل الكتاب رسالة ماجستير حصل عليها المؤلف من كلية أصول الدين قسم العقيدة والفلسفة ، جامعة الأزهر بطنطا، سنة ١٩٨٥م. بإشراف: أ.د/ يحى هاشم حسن فرغل).
- الفصل في الملل والنحل والأهواء، ابن حزم (ت٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بدون تاريخ.
- فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية، د. مصطفى حسن النشار، مكتبة مدبولي، القاهرة، بدون تاريخ.
- في الفلسفة الإسلامية – منهج وتطبيقه –، د. إبراهيم مدكور، سميركو للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢/بدون تاريخ.
- كتاب حقائق المعرفة في علم الكلام، الإمام أحمد بن سليمان (ت٥٦٦هـ)، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعا–اليمن، ط١/١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، تحقيق: حسن بن يحيى اليوسفي.
- كشف أسرار الباطنية، محمد بن أبي القبائل الحمادي، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٨٨م.
- مختصر التحفة الإثنى عشرية، السيد محمود شكري الألوسي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٣هـ، تحقيق وتعليق: الأستاذ محب الدين الخطيب .
- مذاهب الإسلاميين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط١/١٩٩٦م.

- المذهب الباطني في ديانات العالم، لوك بانوا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط١/١٩٩٨م، ترجمة: نهاد خياطة.
- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص ٦٢/١، ط٢/ بدون تاريخ.
- الملل والنحل، الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٤هـ ، تحقيق : محمد سيد كيلاني.
- النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، د. عاطف العراقي، دار المعارف، القاهرة، ط٥/١٩٩٣م.
- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف ، القاهرة، ط ٨/ بدون تاريخ.
- هيراقليطس – فيلسوف التغير وأثره في الفكر الفلسفي – ، د. علي سامي النشار وآخرون، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٩م.